

الأشراف

—

بقلم

حسن النجار

من خريجي كلية أصول الدين

١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٨ م

[illegible] ٢٢ ش [illegible]

الأشراف

بقلم

حسن النجار

[illegible]

[illegible] — ١٩٣٨م

الاهداء

مولاى الملك المحبوب

ان ما بدا للعالم الاسلامى واضحا جليا فى خلقكم الكريم
من حب للدين وأهله وتوقير للثقافة الاسلاميه جعلنى
أستأذن فى طاعة وخضوع فارفع الى مقامكم الصالح أول
باكورة من خالص مؤلفاتى وهى بحوث دينية ضافية عن
آل البيت النبوى وضعتها فى كتاب أسميته «الاشراف»
وانى يامولاى الفاروق فى هذه الى المتواضع هذا لم أكن
غير بستانى مخلص يقطف أجمل زهرة ليقدمها الى المالك
المتصرف

أسال الله أن يبارك الانتاج العلمى فى عهد جلالتكم
السعيد

المؤلف

محسن النجار



المقدمة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . وبعد فانى اكتب في هذا الكتاب المتواضع الموسوم بالاشراف خلاصة ما يتعلق بآل البيت النبوى من بحوث دينية قديمة وحديثة معولا على الادلة القاطعة والاثار الصحيحة

وقد دفعنى الى هذا العمل ما رأته غير مرة فى أحاديث المجالس الدينية من خلط واضطراب فى الكلام عن سلالة النبي المختار صلوات الله وسلامه عليه وعلى اله ومن جهل بمكانتهم في نظر الدين ومن اعتماد بعض السلالة على صلتهم بعيد الوجود دون عمل صالح يقرب الى الله

رأيت هذا بنفسى وحبت الى استفهامات عدة بشأنه فأحببت أن أعكف زمنا على دراسة هذا الموضوع الذى قد يبدوا لقصار الانظار هينا بسيطا لا يستحق العناية وان كان في ذاته قيما جديرا بكل عناية بدليل أن علماءنا الذين

سبقونا قد أولوه من اهتماماتهم ما سطر فى كتب التفسير والحديث والسير

درست هـذا الموضوع ثم رأيت أن أخرجه للناس فى كتاب يغنيهم عن السؤال ويفتيهم عند الرجوع اليه ويكون هاديا لهم عند الاشـكال . وقد فضلت أن أجعـل أسلوبه سهلا فى متنـاول كل قارىء حتى لا يعجز أحد عن فهمه كما فضلت أن اجعله فى ايجاز مناسب لا تـكل معه الهمم ولا تسأم معه الالباب

ولا يسعنى ازاء البـدء فى الانجاز الا أن اشكر ربى اذ شرح صدرى ويسر امرى وسهل لى فكرة طيبة كـنت اتمنى تحقيقها منذ زمن بعيد لولا أن منعتنى حواجز الايام ومماطلات الزمان ومشاغل الدروس أيام الطلب

وغير خاف ان العصمة لله وحده فاذا جاءت رسالتى هـذه كاملة وافية بالغرض مع ضيق الوقت وازدحام المقاصـد فالفضل فى ذلك راجع الى الله القدير الذى فتـح بالحق وهو خير الفاتحين . وان جاءت بالعكس يعوزها الـكمال فحسبى أن الكمال لرب الـكمال لا شـريك له

وكل مرادى أن ينفع الله بها وأن يثيبنى عليها أنه سميع الدعاء (ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيق الا بالله عليه توكلت واليه أنيب)؟

حسين النجار

معنى آل البيت

الآل لغة الاهل الا أنها تقال فى المعظمين ولا تقال فى غيرهم فتقول أل الملك وال العالم وال الوزير ولا تقل ال الاسكاف أو ال الكناس

والبيت المنزل . والاصل فى ال البيت أن يطلق على كل عائلة الا أنه قد خصص فى العرف بال البيت النبوى فاصبح خاصا بهم عند الاطلاق

معنى الشرف والسيادة

فى القاموس المحيط والمصباح وسائر كتب اللغة ان الشرف بفتح الشين والراء العلو المكانى . قال الشاعر

آتى الندى فلا تقرب مجلسى
واقود للشرف الرفيع حمارى

أى واقود للمكان العالى . ولما كانت سيادة النسب تدل على علو معنوى زاد القاموس فى معنى الشرف علو النسب

والسياده فى اللغة الرياسة وفلان سيد قومه أى رئيسهم وسيد داره أى كبير أسرته

وقد جرى العرف العام الآن فى هاتين الكلمتين « الشرف والسيادة » مع الاصل اللغوى فترى الناس يقولون تفضل ياسيد وأهلاياسيد وفلان عنده شرف أو ليس عنده شرف من غير ملاحظة لكون المخاطب متصلا بالرسول أو غير متصل

أما عرف العلماء الدينيين فى مؤلفاتهم وكتبهم فانه يقصر الشرف والسيادة على ال البيت النبوى ويخصها بهم

وبعض العامة يفتح الياء فى سيد فيقول مرحبا ياسيد فلان وهو خطأ يقلب المعنى

رأى الشرع فى ذلك

والشرع لم يخصص لقبا بطائفة دون أخرى فهو يسمح أن يقال لغير شريف النسب شريف وسيد اذا كان القصد أنه شريف فى سلوكه وسيد فى قومه أما اذا كان القصد ادراجه كذبا فى نسب النبي المختار فهذا ممنوع لانه افتراء

خلاف العلماء فى ال البيت

اختلف العلماء فى المراد من ال البيت على اقوال

قال جماعة آل بيته هم الصالحون من أمته ودليلهم فى ذلك القياس فانهم قالوا ان الميت اذا ترك ما يورث عنه فانما يستحقه أقاربه . والنبى لم يخلف بعد وفاته درهما ولا دينارا وانما خلف العلم والتقوى فمن حصل له شىء من ذلك فقد أخذ بنصيبه منه . ودليلهم أيضا ما اخرجه الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف وتمام فى فوائده والديلمى وابن مردويه والعقيلى فى الضعفاء والحاكم فى تاريخه والبيهقى فى سننه وضعفه . كلهم عن أنس رضى الله عنه مرفوعا قال (آل محمد كل تقى)

ورد هذا الدليل بان الكلام فيه على سبيل المجاز لا الحقيقة كقوله ﷺ وعلى اله « سلمان منا ال البيت » اذ لا يخفى ان سلمان كان فارسيا ولكن الرسول أدرجه فى الحديث ضمن ال البيت تقديرا لقرابته الدينية وغيرته على الاسلام

ويغلب على الظن أن حديث انس الذي ذكرناه هو أصل جملة (أناجد كل تقى) التي يزعم العوام انها حديث وليست بحديث

وقال جماعة منهم سعيد بن جبير ومقاتل آل بيته أزواجه خاصة لانهن فى بيته واستدلوا على ذلك بما روى من طريق عكرمة رضى الله عنه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قال يعنى أزواج النبي خاصة

وقال جماعة آل بيته على وفاطمة والحسن والحسين وروى هذا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة . ودليلهم فى هذا ما رواه ابن ابى شيبة وأحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبرانى والحاكم وصححه عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ وعلى اله بعد نزول اية انما يريد الله الخ كان يمر ببيت فاطمة اذا خرج الى صلاة الفجر ويقول الصلاة أهل البيت . وفى رواية ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى أنه ﷺ وعلى اله جاء الى دار فاطمة أربعين صباحا يقول السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمكم الله.

وقال زيد ابن أرقم وجماعة آل بيته من تحرم عليهم الصدقة بعده آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس واستدلوا عليه .

وقال جماعة آل بيته أولاده وازواجه والحسن والحسين وفاطمة وعلى لمعاشرته فاطمة . وقد استحسن الفخر الرازى فى تفسيره

والزمخشري في كشافه هذا القول وأيداه بأدلة يطول سردها

قصة الكساء

نسمع من العوام قولهم (شرف الله البردة ومن تحتها وقولهم الشرف نزل على فاطمة واولادها) فما معنى هذا؟ وما مرجعه؟ مرجعه ماروى عن أم سلمة قالت جاء النبي ﷺ الى البيت فقال لا تأذني لأحد فجاءت فاطمة فلم أستطع أن احجبها عن أبيها ثم جاء الحسن فلم استطع أن أحجبه عن جده ثم جاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه فاجتمعوا حول النبي صلى الله عليه وسلم على بساط فجللهم أي غطاهم نبي الله بكساء كان عليه ثم قال (هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)

وعن أم سلمة ايضاً قالت لما نزلت اية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت دعا رسول الله علياوفاطمة وحسناوحسينا فجللهم بكساء خيبري اى منسوب الى بلاد خيبر

ويقال لمن غطاهم الرسول اهل العباء وقد جاء مدحهم في قصائد كثيرة بهذا اللقب. قال البوصيري رحمه الله تعالى في اخر همزيته المشهورة

وبام السبطين زوج على وبنيها ومن حوته العباء

هذا هو المعنى المراد للعوام من جملتيهم اللتين صدرنا هذا البحث بهما وأنت ترى أنه معنى حقيقي لا غبار عليه

آل البيت لا ينقطع نسبهم

عرفت المراد من ال البيت ونقول هنا أن نسبهم سيستمر متعاقبا خالدا الى يوم القيامة اكراما للرسول الاعظم صلوات الله عليه وابقاء لنسله فى المجتمع رحمة ونورا . جاء فى الحديث الشريف (كل نسب وصهر ينقطع الا نسبي وصهري فانه لا ينقطع الى يوم القيامة) وبهذا نعلم أنه لا يتأتى خلو عصر ما من وجود أشراف كثيرين مصداقا لهذا الحديث فانه وعد من سيد البشر ومصدر وعده السماء فلا يتخلف (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى)

زوجات النبى واولاده

زوجاته ﷺ كثيرات قد يخرجنا عن حد الاختصار ذكر عددهن الزواج وكيفية بهن وتفصيل الخلاف فى التفضيل بينهن وماورد فى كل زوج منهن (١) انما نكتفى هنا بنقل ان منهن خديجة بنت

---

(١) تجد كل هذا موضحا فى كتاب نور الابصار للشبلنجي وغيره

خويلد رضى الله عنها وقد تزوج بها رسول الله فى مكة وكانت ثيبا ولم تتزوج غيرها حتى ماتت وكل اولاده منها الا ابراهيم فانه من مارية القبطية

واول مولود له ﷺ القاسم وبه كان يكنى ثم زينب ثم رقية ثم ام كلثوم ثم فاطمة ثم عبد الله وكان يسمى الطيب والطاهر ثم ابراهيم وكلهم باجماع العلماء يعتبرون بحق وصدق اشرافا اذهم أولاده المباشرون

وقد عاش القاسم سنتين وعاش ابراهيم ستة وعشر أشهر وعاش عبد الله زمنا قليلا أما زينب فانها كبرت حتى تزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع ابن عبد العزى فولدت له عليا ومات مراهقا. وامامة وتزوجها على ابن أبى طالب بعد خالتها فاطمة بوصية منها وتزوجها بعد موت على المغيرة ابن نوفل ابن الحارث ابن عبد المطلب بوصية من على فولدت له يحيى بن المغيرة . وامامة هذه هى التى كان يحبها الرسول ويحملها فى الصلاة على عاتقه فاذا ركع وضعها واذا رفع رأسه من السجود اعادها . وأما رقيه فقد تزوج بها عتبة ابن أبى لهب وتزوج عتيبة أخوه باختها أم كلثوم فحلف أبوها أن يفارقاها قبل الدخول ففارقاها فتزوج عثمان رضى الله عنه رقية بمكة فولدت له عبدالله . قال مصعب

وبلغ الغلام ست سنوات فنقر عينه ديك فتورم وجهه ومرض ومات

ولما ماتت رقيه تزوج عثمان اختها أم كلثوم . وأما فاطمة فاصغر بناته وأحبهن اليه وأكثر أولاده شبها به فى مشيته وقوامه وقد تزوج ابن عمه على ابن أبى طالب بها . ولعلماء الحديث فى زواجها بعلى وخطبتها ومهرها وكيفية زفافها وفضلها وعلمها وأدبها وتدبير منزلها وميل أبيها اليه وحبها لابيها وتفضيلها على باقى أولاده . فى كل هذا كلام كثير لا نطيل بذكره

وولدت فاطمة لعلى ذكورا الحسن اولا ثم الحسين ثم محسنا وقد مات صغيرا . واناثا هن أم كلثوم وزينب . وزاد الليث بن سعيد رقيه وماتت صغيرة لم تبلغ ولم يتزوج على غير فاطمة حتى توفيت

تبين مما ذكرناه أنه ليس للرسول ﷺ ذرية الا من زينب أم امامة وفاطمة أم الحسنين . وهنا قد يسأل بعض الناس سؤالا فيقول لماذا نعتبر أولاد فاطمة أشرافا حائزين لكمال الانتساب الى خير الخلق ولا نعتبر نسل زينب ؟ ونقول ان الجواب على هذا سيوضح فى الفصل التالى .

الشرف من قبل الام

اختلف العلماء فى الشرف من قبل الام اختلافا كبيرا فافتى بعض المالكية باعتباره وللمراكشى منهم بدار الكتب بالقاهرة كتاب اسماع الصم فى اثبات الشرف من قبل الام

وقال جمهور العلماء بعدم اعتباره وشدد فى النكير على من اعتبره وقال ان كتب المذهب لاتوافقه

وهذا الخلاف قد حدث فى القرن السبع للهجرة فليس معروفا لاحد المتقدمين ولا مذهبا لامام منهم ولذا قال بعض المحققين أن القول باعتبار الشرف من جهة الام خارج عن المذاهب المعتد بها . قال الشيخ محمد الحموى نزيل القاهرة قديما فى حق من ادعى الشرف من الأم يكفى هذا المدعى كذبه على الرسول وكأنه رضي أن يدعى فى دنياه بالسيد الشريف وان حل عليه السخط المنيف

٭

والراى الحق الذى اعتمده الباحثون ان الشرف من الآم لايعتبر وهذه أقوال علماء المذاهب تثبت مانقول

قال شمس الأئمة السرخسى فى قوله تعالى (وعلى المولود له رزقهن) أن الثابت بالعبادة وجوب نفقتها أى الام على

الوالد فان السياق كذلك والثابت بالاشارة أحكام. منها . أن الولد ينسب الى أبيه لانه أضاف الولد الى الوالد بحرف اللام وهي للاختصاص . وفي كشاف الزمخشري مايفيد هذا . وفي شرح الكنز للعيني أن النسب عبارة عن من ينسب الى الاب دون الام. وصرح العلامة كمال الدين في العناية بهذا وقال الفقهاء ـ ان الموصي عليه لو أوصى لنسله أو جنسه لا تدخل قرابته من جهة الام كذا في شرح الجمع وحاشيته للعلامة قاسم قال الشاعر

فان امهات الناس اوعيه مستودعات وللانساب آباء

وقال ايضا

بنونا بنو آبائنا وبناتنا بنوهن ابناء الرجال الاباعد

قال صاحب خزانة المفتين لو قال مالي لاهل بيت النبي ينصرف الى أولاد فاطمة رضي الله عنها . وفي أوقاف الناصحي ما نصه (لو وقف على عقب زيد فعقبه ولده وولد ولده ابدا ما توالدوا ولا يدخل أولاد البنات لانهم ينسبون الى قوم اخرين)

هذه هي فتاوي الحنفيه وللمالكية مثلها فقد افتى قاضي الجماعة بتونس بعدم الشرف من جهة الام مستدلا بقوله تعالى (ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله) وقال ابن عرفه سمعت شيخنا ابن عبد السلام يخطيء من افتى بالشرف من الام . وللشافعية والحنابلة مثل

ذلك فقد قال العلامة صاحب المنهاج العبرة بالانتساب الى الاباء دون الامهات وقال الشيخ تقي الدين الحنبلى فى شرح منتهى الايردات ما هو صريح فى ذلك

وأنت ترى أن هذه الفتاوى معقولة فان ابراهيم ابن الرسول لم ينسب الى قبط مصر بل نسب الى أبيه . واسماعيل ابن ابراهيم الخليل عليهما السلام نسب الى قومه ولم ينسب هاجر

استثناء . ويستثنى من هذه القاعدة التى ذكرناها وهى نسبة الاولاد الى أبائهم دون أمهاتهم أولاد فاطمة رضى الله عنها بنت محمد ﷺ فانهم لم ينسبوا الى على بن أبى طالب بل نسبو الى الرسول لانه قد استثناهم بنفسه فنسبهم الى ذاته الكريمة (بقوله كل بنو ابنت بنو أبيهم الا أولاد فاطمة فانهم أولادى) رواه الاشياخ عن شمس الائمة الحلوانى كما فى البدائع وبقوله كل ولد ادم عقبهم لأبيهم ما خلا أولاد فاطمة فانى انا أبوهم) كذا فى العقدين وبقوله فى الحسن بن على «أن ابنى هذا سيد » فقد اعتبره ابنه وأضافه اليه . وقد عد من خصائص الرسول نسبة أولاد فاطمة اليه قال العلامة السيوطى أخرج الحاكم فى المستدرك عن جابر وأبى يعلى فى مسنده عن فاطمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ (لكل بنى أم عصبة الا بنى فاطمة أنا وليها وعصبتها) فانظر الى لفظ الحديث كيف خصص الانتساب

والتعصيب بالحسنين دون اختيهما لان اولاد اختيهما ينسبون الى اباثهم. وعلى هذا جرى السلف والخلف. ومن هنا نفهم علة الحكم فى أن أولاد فاطمة شرفوا بالانتساب الى الرسول دون أولاد غيرها من بناته لان اختها زينب لم تعقب الا امامة فلم تعقب ذكرا حتى يكون كالحسنين فى ذلك

الاحتجاج بعيسى . وبعض علماء ال البيت حينما قيل له كيف تنسبون الى محمد عليه الصلاة والسلام ولا تنسبون الى على اجاب بأن القران الكريم نسب عيسى عليه السلام الى ابراهيم الخليل عليه السلام كما هو صريح فى اية وتلك حجتنا من سورة الانعام مع أنه من جهة الام . وهذا الجواب قال فيه صاحب رسالة الاتحاف لا حاجة اليه لان الكلام فى من له أب وعيسى لا أب له

ويعجبنى صاحب الاتحاف فان هذا الجواب فوق أنه لا حاجة اليه هو أيضا يقوم حجة للقائلين باعتبار الشرف من الام وأنت عليم بما سقناه من أقوال العلماء الثقات فى تفنيده وابطاله فتنبه

القران وال البيت

روى العلماء فى أسباب تنزيل الايات ... الأنصار قالو

فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا فقال أحد أقارب النبي ﷺ وعلى الله لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله فاتاهم في مجلسهم فقال يامعشر الأنصار . ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي ؟ قالوا بلى يارسول الله . قال الا تجيبوني ؟ قالوا مانقول يارسول الله ؟ قال الا تقولون ألم يخرجك قومك فاويناك ؟ أولم يكذبوك فصدقناك ؟ أولم يخذلوك فنصرناك ؟ فنزل قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)

فأنت ترى ان الله سبحانه قد ابعد اهل البيت واكرمهم فاعتنى بهم حيث خاطبهم في قران يتلى الى يوم القيامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مظهرا حبه لهم واعدا بقبول أعمالهم وفي ذلك لا شك عناية من الله بهم جعلت شراح الاية يوسعون عند تفسيرها في فضائلهم ومزاياهم بما لا يسعنا استيفاءه

السنة وال البيت

رويت في صدد ان البيت احاديث جمة يقتضي الايجاز الاكتفاء ببعضها فعن زيد ابن ارقم رضي الله عنه قال . قال

رسول الله ﷺ (اذكركم الله فى أهل بيتى) ثلاثا وأخرج الحاكم عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ (قال خيركم خيركم لاهلى من بعدى) وروى جماعة من أصحاب السنن عن عدة من الصحابة أن النبي ﷺ انه (قال اهل بيتى فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك) وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه قال « ارقبوا محمدا فى ال بيته » رواه البخارى

والمتامل فى هذه الاحاديث يجد ان الرسول حث على احترام ال بيته والعطف عليهم والاخلاص لهم ولذا قرنهم فى حديث اخر بالقران اهتماما بشأنهم فقال (تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله عترتى أهل بيتى) ولا نقصد فى ذلك فان فى القرآن هداية ونور لدينا وفى ال البيت ذكرى خالدة للرسول نحن أيها المؤمنون فنحفظ بقوى يقينه

الاحاديث المزيفه

فى العصبية على الاشراف والحض على تفضيلهم وتبجيلهم أحاديث عدة كما قلنا ولكن هذا لا يمنع أن نقول أن هناك بعض الاحاديث فى هذا الباب لا يعتمد عليها لان فى سلسلة رجالها من اتهم بالغلو فى التشيع لال على وتقديسهم فلا بد أن

يكون قد اندفع بعامل ذلك الى وضع الحديث وقد أخبرني السيد عبدالله الغماري انه اطلع على كتب كثيرة لهؤلاء المغالين المارقين فرأى فيها أكاذيب لايقبلها العقل ولا النقل. ومثل هذه الاحاديث المزيفة تعرف بالذوق الذى أودعه الله في الانسان ليدرك به الحسن فيقبله والقبيح فيرفضه — والى هذا المعنى يشير قول الرسول الحكيم (استفت قلبك وان أفتاك المفتون) وتعرف أيضا بالعلامات التى ذكرها علماء مصطلح الحديث لمعرفة الوضع. ومنها ان يكون الحديث مخالفا في معناه للقرآن او الحديث الصحيح ارتفاعا عليه سمة الاختلاق وفي هذا المعنى يقول ابن الجوزي (ان الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم) وتعرف أيضا بالاطلاع على كتب الموضوعات مثل اللآلئ المصنوعة في الاحاديث الموضوعة للسيوطي وغيره من الكتب وعلى كل حال ينبغي لمتناول هذا المقام بالاطلاع أن يحترس من الاحاديث الموضوعة ونحن نكل الى ذوقه تمييز السليم من المريض فان الحديث الصحيح كما يقول بعض العلماء «ان للحديث ضوءاً كضوء النهار نعرفه وظلمة كظلمة الليل فننكره» ومع كل هذا ففي استطاعة الشخص ان يسأل أهل العلم عن الاحاديث التي يشتبه

فيها فان بالسؤال يزول الاشكال . قال تعالى فاسئلو أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون

الصلاة على الال

فى الصلاة على الرسول والمواضع التى تستحب فيها والتى تكره فيها وهل هى خاصة به أوله ولسواه من الانبياء ولمن يكون الترضى ولمن يكون الترحم . فى كل هذا بحث واسع ملىء باختلاف العلماء تجده موضحا فى كتاب مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات

ويهمنا هنا أن نقول انه ينبغى عند الصلاة على الرسول ادماج اله معه ليكون ذلك دعاء لهم بالمغفرة والرحمة فاذا قلت صلى الله عليه كان انسب وأفضل أن تقول وعلى اله لما ورد فى ذلك من الحث الكثير قيل فى كتاب مطالع المسرات فى هذا المقام « لاسيما وهم منسوبون اليه ﷺ والدعاء لهم واقع له بالتبع » وذكر الفخر الرازى ان اله ساووه فى خمسة أشياء عد منها الصلاة عليهم وعليه

اقوال العلماء الدينيين فى ال البيت

أخرج الثعلبى في تفسير قوله تعالى فاعتصموا بحبل الله جميعا عن

جعفر الصادق أنه قال نحن حبل الله الذي قال الله واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأخرج بعضهم عن محمد الباقر في قوله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله أنه قال (أهل البيت هم الناس) وروي عن سيدي الخواص أنه كان يقول (من حق الاشراف علينا أن نفديهم بكل ما نملك لسريان لحم رسول الله ودمه الكريمين فيهم فهم بضعة منه والبعض في الاجلال والتوقير والتعظيم ما للكل وحرمة جزئه ﷺ ميتا كحرمة جزئه حيا على حد سواء)

هذا وفي كتب المتقدمين والمتأخرين كثير من المقالات التي توصي بهم وتشهد لمكانتهم

المؤلفات في أهل البيت

كتب العلماء السابقون في آل البيت مقالات عدة تجدها عند مناسباتها من تفسير القرآن وشرح الحديث وأسفار المناقب كما خصص بعضهم كتبا مستقلة في هذا الصدد —

وليس في الامكان احصاء هذه المؤلفات لان ذلك قد يخرجنا عن حد الاختصار —

وعلى كل حال فالمطلع على الموجود منها يجد ان في بعض حاويها غلوا فادحا وفي بعض ذاتها ضعفا وركاكة . فما سبب

هذا ؟ وما علته ؟

قد يعلل هذا عندى بسببين أحدهما أن معظم الكاتبين فى آل البيت كانوا من المتفانين فى حبهم تفانيا دفعهم بقوة الى الغلو والافراط ولا غرو وفى ذلك فقد جاء فى الاثر حبك الشيء يعمى ويصم وجاء فى التاريخ أن بعض الطوائف تشيع لعلى بن أبى طالب والمدرسة من بعده تشيعا فيه اجلال وتقديس انتهى أخيرا الى القول بنبوته وبألوهيته والى القول بأن الله حل فى اناس من نسل على بالتعاقب والى اعتبار الحسن والحسين ابنا الله وما الى ذلك مما تدرسه فى علم تاريخ الأديان

ثانيهما أن المؤلفين فيهم كانوا صالحين ورعين يخافون أن يرفضوا حديثا أو يصرحوا ببطلان قصة أو تكذيب رواية فيكون الواقع غير ما ارتأوه فيقعون فى الحرج والاثم — ومن هنا كثرت الخرافات والاباطيل التى ترى بعض الكتب مملوءة بها والتى ترى أذهان العوام قد حشيت بترهاتها

اقوال الادباء فيهم

فى كتب الادب القيمة درر وجواهر ثمينة عن آل البيت تنم

عن مكانتهم وعلو منزلتهم وعناية الادباء بشأنهم ولورود ذلك هنا نتفأمن نظم الشعراء المادحين فيهم لنكون على بصيرة . حكى عن الشافعى أنه قال

يا ال بيت رسول الله حبكم فرض من الله فى القران انزله
يكفيكم من عظم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لاصلاة له

أى كاملة أو صحيحة على خلاف فى ذلك

وحكى الامام أبو بكر البيهقى رحمه الله فى كتابه الذى صنفه فى مناقب الشافعى ان الامام قيل أن له أناسا لايصبرون على سماع منقبه أو فضيلة تذكر لاهل البيت فاذا رأوا أحدا يذكر شيئا من ذلك قالوا تجاوز عن هذا . فقال الشافعى

اذا فى مجلس نذكر عليا وسبطه «١» وفاطمة الزكيه
يقال تجاوزوا يا قوم هذا فهذا من حديث الرافضيه
برئت الى المهيمن من اناس يرون الرفض حب الفاطميه

ولأبى حسن ابن جبير

أحب النبى المصطفى وابن عمه عليا وسبطيه وفاطمة الزهرا
همو اهل بيت أذهب الرجس عنهم وأطلعهم أفق الهدى أنجما زهرا
موالاتهم فرض على كل مسلم وحبهم سنا الذخائر للاخرى

«١» فى كلمة الحفيد والسبط خلاف لغوى واصح الاقوال أن الحفيد ابن الابن والسبط ابن البنت وقد يستعمل احدهما فى معنى الاخر

وروى ان بعض الوعاظ الادباء أطنب فى مدح ال البيت وذكر شمائلهم حتى كادت الشمس ان تغرب فالتفت اليها وقال مخاطباً لها

لا تغربى ياشمس حتى ينقضى مدحى لآل محمد ولنسله
واثنى عنانك انى أردت ثناءهم انسيت اذكان الوقوف لاجله
ان كان للمولى(١)وقوفك فليكن هذا الوقوف لفرعه ولنجله

والفرزدق فى مدح زين العابدين ابن الحسين قصيدة عصماء تعتبر مدحا لآل البيت بأسرهم لا بأس أن نذكر منها جانبا مع قصتها

نقل غير واحد أن هشام بن عبد الملك حج فى حياة أبيه فطاف فى البيت وجهد ان يستلم الحجر الاسود فلم يصل اليه لكثرة الزحام فنصب له منبر الى جانب زمزم فى الحطيم يجلس عليه ينظر اليه الناس وحوله جماعة من اهل الشام فبيناهم كذلك اذ اقبل زين العابدين ابن الحسين رضى الله عنهما فتنحى له الجميع حتى استلم الحجر فقال رجل من اهل الشام من هذا الذى قدهابه الناس؟فقال هشام لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه الشاميون وكان الفرزدق حاضرا فقال أنا أعرفه وأنشد يقول

المولى من يتولى الامرخالقا أو مخلوقا والمراد به هنا محمد ﷺ وقد وقفت الشمس لاجله كما روى

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلها الى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمي الى ذروة العز التي قصرت عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
يغضي حياء ويغضى من مهابته فلا يكلم الا حين يبتسم
من جده دان فضله الانبياء له وفضل امته دانت لها الامم
ينشق نور الهدى من نور غرته
كالشمس ينجاب عن اشراقها الظلم
مشتقة من رسول الله نبعته طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا

فلما سمع هشام هذه القصيدة الطويلة التي اخترنا بعضها للايجاز أمر بحبس الفرزدق فحبس بعسفان فلما علم بذلك زين العابدين بعث اليه بألف الدرهم فردها الفرزدق وقال انما مدحتك بما أنت أهله فردها ثانية اليه زين العابدين وقال خذها وتعاون بها على دهرك فانا أهل بيت اذا وهبنا شيئا لا نستعيده فقبلها منه

وهذا الامام البوصيري قدس الله سره يقول في اخر همزيته

آل بيت النبي طبتم فطاب المدح لي فيكم وطاب الرثاء
أنا حسان مدحكم فاذا نحت عليكم فانني الخنساء
سدتم الناس بالتقى وسواكم سودته الصفراء والبيضاء

اخلاق الاشراف

نقصد باخلاقهم شمائلهم العالية من كرم وحلم وتواضع وزهد وشجاعة وما الى ذلك من الفضائل التى تحلى بها جدهم المصطفى والتى كان أبوهم على فيها مضرب الامثال وعبرة المعتبرين لا بدع فى اتصافهم بكل هذا فهم جزء من رسول الله يحمل فضلا من فضله بصورة من على تسرى فيها قوته وانسانيته . وواضح أن الرسول كان مثلا أعلى فى الفضائل كلها كما لا يخفى أن عليا كان عظيم السمو النفسانى والصفات النبيلة . فاذا علم هذا فلا تستغرب بعد أن ينشأ الأحفاد على نعوت الاجداد والابناء على مثال الاباء فقد قيل قديما العصا من العصيه كما قيل فى أمثال الفرنسيين كما يكون [illegible] فى المثل الانجليزى خليق بالوارث أن يرث فضل [illegible] شاعر العرب يقول بأبه اقتدى عدى فى الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم

ويقول [illegible]

وهل ينبت الخطى (١) الا وشيجه ونغرس الا فى منابتها النخل

وهذا القرآن الكريم يشير الى الوراثة بقوله « ياأخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا »

وهذا الرسول الحكيم يقول « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » أى نزاع الى الاصل

على أن الفلاسفة قديما قد أدركوا سر الوراثة وتأثر الفرع بها فان أفلاطون قد تناولها فى الجمهورية ببحثه وتنقيبه كما تناولها غيره من القدامى

اما المعاصرون فانهم اهتموا بدرسها وتطبيقها حتى ان المانيا اليوم قد قررت تعقيم العجزة والمرضى لئلا يتزوجوا فينتجوا نسلا مريضا لا ينفع الوطن

اعتراض وجوابه

قد يقول قائل . مقتضى ما ذكرتموه من ان النسل سر الاصل أى ان للوراثة تأثيرا ان يكون كل ذرية الاسوياء صالحين اتقياء مع انا نشاهد فى الاشراف جبناء او بخلاء او حمقى او فاسدين اه

(١) الخطى الرمح المعتدل نسبة الى خطا بلد بجوار البحرين اشتهرت بالبنان المعتدلة ورماحه والمعنى هل ينبت الرمح المعتدل الا مثله

نحو ذلك فما سر هذا ؟ وما الجواب عليه ؟ ونقول ان الحكم بتاثر الوراثة فى الفرع ليس حكما جنسيا بل حكم مجموعى . وتوضيح هذا انه ليس ضروريا ان يكون الفرع جميعه كالاصل بل ان اغلبه يكون كذلك فاننا نشاهد فى ابناء الكريم كرما وقد يشذ بعضهم فيبخل ونشاهد فى ابناء الشجاع شجاعة وقد يشذ بعضهم فيجبن وهكذا فمدار هذه الاحكام على الغالب الكثير . الم تسمع عن سكان الريف انهم اقوياء لا يخافون ومع ذلك ففيهم من يخاف من ظله ؟ الم يقل المصريون نحن كرماء لضيوفنا ومع ذلك ففيهم من يخاف من الضيوف كما يخاف من السيوف . وعلى هذا القياس امر الاشراف فانهم قد ورثوا حقا اقساما من نور المصطفى واخلاقه لكن هذا فى اغلبهم فلا مانع ان يوجد فيهم من لا تعجبك أخلاقه ولا يرضيك سلوكه

على ان للبيئة اى الوسط الذى يعيش فيه الانسان تأثيرا فى الاخلاق كالوراثة فقد تكون بيئة شريرة أثرت على الشخص الشريف الذى لم نر فيه نعوتا طيبة وادابا حميدة . وتاثير البيئة امر مفروغ منه ومقرر فى نظريات علم الاخلاق حتى انهم قالوا ان النبات يتأثر بها وكذا الحيوان وكل كائن حى

ولعل بهذا المبحث قد استنار ذهن من يطعن فى نسب سيى .

الملوك من الذرية النبوية بحجة انه لو كان شريفا لـكان صالحا غافلين عن ظروف بيئة غ حسيبين لتاثيرها حسابا

صحيح انه لاينبغ ن ش يعد أمر خارج الشرف ولـكن هذا لايبرر الطعن فى نسبه بحال من الاحوال فان هذاشيىء وذاك شيىء آخر . بهذا نعلم خطأ الذين ... الدولة الفاطمية بسبب عدم استقامة بعض ملوكها

تحريم الصدقة عليهم

ذكر العلامة الا... روايه عن مالك تجوز أن يأخذ الاشراف من صدقة فرض بهى الزكاة السنوية المسماة عند العوام بالعشر المفصلة فى كتب الفقه وتمنعان يأخذوا من صدقة التطوع لان ... المشهور عند اكثر الحنفية ... من صدقة التطوع دون صدقة الفرض ... .

قال بعض الباحثين ... تحريم الصدقة عليهم انها أوساخ الناس ... وعظم منزلة ... أن تكون يدهم سفلى . وقال بعض ... وقد كان لهم قديما خمس الخمس من ... والفيء المأخوذين من الاعداء فى الجهاد فلما ... خف الآن ... لهم أخذ الصدقه سواء كانت فرضا أو نفلا . وهـذا السبب

الاخير وحيا مقبول وعليه معروف ... ن .

غير أنه ينبغي للمتصدق ... ان يتأدب معهم حين يعطيهم فلا ... بذلك ... صدقة بل ... الهدية والتقرب الى رسول الله بواسطتهم . بذلك يقول سيدى ... الخواص رحمه الله (اصطنعوا الايدي مع الاشراف لمكانتهم من رسول الله وانووا بذلك الهدية والمودة ... من جدهم دون الزكاة فان لهم فى ... ان يقوم بعضنا زيادة على ما الجدهم ﷺ من ... ؟

هذا وانى اسمع كثيرا من الجمهور يقولون للاشراف الثلث فى رقابنا ... تعبير ... هذه الكلمة ولا أفقه لها تأويلا ولا ... الخرص المتقدمة فقلت لعلها تسربت الى العوام ... ظاهرها مع أن المعنى على سبيل المجاز اى أن لهم ... مقرر ...

الشريف الفقير

كثير ما يعرض ... محمد من آل البيت فيستدين أو يحتاج وذلك ... ﷺ اللهم اجعل رزق ال محمد كفافا ...

فاذا حصل شيء ... لاقرباء المصطفى أن يعنوا

بأمرهم ويهتموا بحالهم فيقوهم شر الذل والاهانه. ذلك أنهم سلالة المختار وأن بيت السيدة والكرامة وفرع شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء. فعار على المسلمين أن يدوسوها أو يذبلوا أزهارها . وكان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله عنه يقول « ويتأكد على كل صاحب مال اذا رأى شريفا عليه دين أن يفديه بماله لانه جزء من رسول الله »

وكأن المتبولى قد استقى هذا الحكم من الحديث الشريف القائل « لا يكون المرء مؤمنا حتى يكون الله ورسوله أحب اليه من نفسه وماله وولده » فانه ذكر المال فى الحديث وبدهى ان محبة الجزء كمحبة الكل وحرمة جزئه ﷺ ميتا كحرمة جزئه حيا كما اوضحنا

هذا والمقصود من نصيحة المتبولى الحث على أن تصرف ما يفضل عن حاجتك فى حاجة آل البيت لا ان تأخذها على ظاهرها فتصرف كل اموالك فى سبيلهم وتصبح فقيرا فان هذا لا يقول به عاقل ولا يتفق مع مبادىء الدين العادلة التى اوصت بالتصدق والرأفة ثم اوصت فى الوقت نفسه ان لا يكون المرء عالة على غيره فى المجتمع . ذلك ما افهمه فى نصيحة المتبولى والا فان من يبدد

كل ماله على المدينين من الاشراف لابد أن يصبح فقيرا فيقع فى ماكان واقعا فيه هؤلاء المدينون

خدمة الشريف عند غيره

البطالة شر على المجتمع تفسد أخلاقه وتقوض بنيانه وتخل أمنه ونظامه. والعمل ديدن العقلاء وخطة النجباء والفضلاء. ومن ثم أوصت الشرائع كلها بالحركة وخوض معترك الحياة طلبا للرزق وتحصيلا المعيشة . واذن فلا مانع مطلقا اذا كان الشريف فقيرا أن يخدم فى مصالح غيره مؤجرا . غير أنه ينبغى لصاحب العمل أن يلاحظ قرابته من سيد الانسانيه فلا يهينه بكلمة تؤذيه أو بتخفيض مرتبه دون زملائه أو بتوزيع العمل الشاق عليه أو افراده بالخدمة المزرية أو سوى ذلك مما يعتبر فى العرف احتقارا . قال المتبولى فى ذلك «من اذى شريفا فقد اذى رسول الله » وقال الشعرانى (ولم ارمن تخلق من اقرانى بهذا الخلق الا قليلا بل رايت بعضهم يستخدم الشريف ويحمله سرجه وسجادته ويمشيه خلف بغلته وهذا دليل على جهله بالادب مع رسول الله)

اما خدمته عند الكفار فكخدمة سائر المسلمين عندهم افتى العلماء

بكرامتها أما لم يترتب عليها الاهانة والاحتقار فتحرم

وقد يقول بعض الناس فى أى مكان نحصل قوتنا اذا كنتم تحرمون علينا العمل عند الكفار ؟ وما المانع فى أن يهينونا أو يضربونا لأجل أكل العيش ؟ ونقول أن الحكم الفقهى يقصد صون كرامتكم وحفظ عزتكم « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » والعمل فى انحاء الدنيا كثير قال تعالى فى سورة الملك : فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور »

وعندى أن يعيش المؤمن فقيرا مع العزة خير من أن يغنى مع الذلة

وقالوا توصل بالخضوع الى الغنى
وما علموا أن الخضوع هو الفقر
وبينى وبين المال بابان حرما
على الغنى نفسى الأبية والدهر

المهدى المنتظر منهم

المهدى رجل تقى من سلالة الرسول يظهر آخر الزمان لتطهير المجتمع من البدع والضلالات وقد جاءت الاحاديث النبوية كثيرة

فى صدد ظهوره رد بها العلامة السيد الغمارى على من انكره من المعاصرين . ومن العجب ان الوقت الذى ينكر فيه المهدى نسمع رجلا بالهند فى (سنة ١٩٣٥ م) يدعى أنه المهدى المنتظر وآخر يدعى بحى السيدة زينب بالقاهرة أنه المهدى ولكن لا بدع فهذا عصر الغرائب والعجائب . ومنذ سنين قام بالسودان زعيم ادعى انه المهدى ففند علماء الازهر دعواه بفتوى وجدناها بدار الكتب عنوانها (افتاء علماء الأزهر الاعيان فى ابطال دعوى مهدى السودان)

وعلى كل حال فقد اختلف العلماء كثيراً فى المهدى هل هو من ولد الحسن أو من ولد الحسين بعد أن اتفقوا على ظهوره وأنه من عقب فاطمة البتول . وفى فضائل المهدى وتعيين اسمه وتحديد مهمته التى يقوم بها وضبط بلده التى ينشأ منها وذكر أوصافه ومدة مكثه فى الأرض وكيفية اجتماعه بعيسى عليه السلام عند نزوله آخر الزمان — فى كل هذا كلام كثير واسع أفاض فيه كتاب نور الأبصار للشبلنجى وكتاب بيان الاشكال فيما حكى عن المهدى من الاقوال لأبى عبد الله حمدان بن يحيى

الامامة وآل اليت

الامامة فى الاسلام نوعان : امامة صغرى وهى أمامة الصلاة وأمامة كبرى وهي الخلافة التى فقدها المسلمون اليوم والتى كانت تتولى رعايتهم العامة وتربطهم برباط حكم ديني واحد وتجملهم تحت راية واحدة متضامنين غير متفرقين مهما تعددت بلدانهم وبعدت أقطارهم

ولآل البيت فى هاتين الامامتين مقام الفضل والسبق على غيرهم عند تساوى الصفات الاخرى من علم وتقوى وغير ذلك . ومعنى ذلك أن كتب الفقه الاسلامى قد نصت فى باب أمامة الصلاة على استحباب تقديم ذوى النسب النبوى على غيرهم المتساوين معهم فى الصفات الباقية دون النسب

كما نص شراح الحديث القائل (الأئمة من قريش) بعد أخذ ورد وحوار وخلاف على أن هؤلاء أولى بالخلافة العظمى تقديرا لمكانتهم من نفوس الخلق اذا تساووا مع غيرهم فى الشروط المطلوبة من كفاءة وعدالة وتقوى ولم يفضلوهم الا بالنسب

هذه ميزة لا ريب لآل البيت رأينا ان نشير اليها فى كلمة

موجزة والا فالكلام عن الخلافة وما يتعلق بها من أقوال وآراء قد لا تسعه صفحات هذا الكتاب

كتب التاريخ السياسي

تتحدث عنهم

اقرأ كتاب الدولة الاموية للاستاذ حسن مراد وكتاب الدولة العباسية للدكتور مصطفى زياده أو غيرهما . فأينما قرأت تجد أن كتب التاريخ السياسي قد عنيت بالاشراف عناية تامة فأفسحت صفحاتها لذكر زعمائهم ووصف مواقفهم الحربية التى نشبت بينهم وبين الامويين ثم العباسيين طلبا للخلافة التى كانوا يعتقدون أنها حق شرعى لهم

والعلويون وان لم يوفقوا فى الواقع الى الحصول على الخلافة مع بذل الجهد الا أنهم قد تمكنوا من أن يؤسسوا دولا فى بعض الأقاليم استقلوا بها وبسطوا سلطانهم فيها ؛ فادريس بن عبد الله أسس دولة الادارسة ببلاد المغرب . وأخوه يحيى أسس دولة ببلاد الديلم . وعبيد الله ابن محمد من نسل جعفر الصادق أسس

دولة اقتطعت من العباسيين المغرب وافريقية ومصر (١) وأسماها دولة الفواطم أو الدولة الفاطمية نسبة الى فاطمة الزهراء

حقا أن كتب التاريخ عنيت بآل البيت . ومن أجل ذلك نقرأ عند دراسة أى عهد اسلامى فصولا ممتعة من روايات العلويين التى مثلوها على مسرح الحياة الحربية والسياسية

كيف انتشر الاشراف

فى الاقطار

اذا تصفحت كتاب سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب لمحمد أمين البغدادى من علماء القرن الثالث الهجرى أو كتاب أنساب العرب للقلقشندى أو كتاب عمدة الطالب فى نسب آل أبى طالب لابن عنبة أو كتاب بحر الانساب له ـ اذا تصفحت هذه الكتب تبين لك أن الاشراف قد

(١) ومن آثارها هنا الجامع الازهر الذى اضطلع بحمل عبء المعارف المختلفة قرونا طويلة كان فيها مصباحا يستضيء به جميع الامم وكأنهم راعوا فى تسميته بالازهر الاشارة الى اتصالهم نسبا بفاطمة الزهراء رضى الله عنها

انتشروا فى بلاد متنوعة وأقاليم مختلفة حتى اننا نستطيع ان نقول أنه لا يخلو قطر من الاقطار عن أحفاد الرسول

أما العوامل التى دفعتهم الى الهجرة من جزيرة العرب التى بزغت فيها شمس جدهم فانها لا تخرج عن العوامل المعتادة التى تحدو بالناس الى الانتقال .

ومن هذه العوامل ضيق العيش وشدة الفاقة قال الشاعر

واذا رأيت الرزق عــز ببلدة

وخشيت فيها أن يضيق المكسب

فارحل فأرض الله واسعة الفضا

طولا وعرضا شرقها والمغرب

ومنها الميل النفسانى الى الرحلات طلبا للاستكشاف وحبا فى الاستطلاع

ومنها طلب العلم فى الامصار التى اشتهرت به كمصر والعراق وغيرها

وبعد ذلك هذا فجوهو الاسباب وأهمها اصطدامهم بالولاة

أيام الدولتين الاموية والعباسية من اجل النزاع على الخلافة التى كانوا يرون أنهم احق بها واهلها فقد اصابهم من جرائها محن مختلفة سببت لبعضهم النفى والهجرة الى بلاد غير جزيرة العرب

ولعل هذ لتنفذ ارادة الله الحكيمة التى شاءت أن يكون ذرية الرسول فى البسيطة بين الخلق كالملح يصلح الطعام ولله فى خلقه شئون

كثرة الاشراف

وجه الى ذات يوم بعض الذين يميلون الى الشك فى الانساب سؤالا فقال . ايعقل أن يكون الاشراف على تعددهم فى الاقطار وكثرتهم الهائلة فى البلاد اولاداً لواحد هو على بن طالب ؟ وابدى استغرابه الممزوج تهكما . فوجهت اليه فى الجواب على سؤاله سؤالا فقلت . أى غرابة فى هذا ؟ ايعقل ان يكون العالم كله الآن فى جميع البقاع على كثرته الهائلة اولاداً لواحد هو آدم أب البشر ؟ فقال نعم . فقلت نعم فان ما هو جوابكم فهو جوابنا

وبيان ذلك ان الله اراد استمرار نسب خير الوجود الى يوم القيامة كما جاء فى الحديث « كل نسب وصهر ينقطع الا نسبي وصهري فانه لا ينقطع الى يوم القيامة » فكثر ذريته وبارك فيها ليتأتى بقاؤها وعدم انقراضها كما أراد بقاء نسل آدم فى الأرض الى يوم القيامة لتعمير العالم فأكثر منه وبارك فيه . والله قادر فعال لما يريد . انما امره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون

ملاحظة

قال لى أحد الناس : انه لاحظ فى تأمل ودقة ان كثيرا من الأشراف يموتون فى سن مبكر وان اغلبيتهم اعمارها قصيرة لا تعمر طويلا . فلم هذا ؟ وما سره ؟ قلت . وكيف استطعت ان تحكم هذا الحكم . قال أنه حكم شعوري . نظرت بالاستقراء التقريبي الى الاشراف والى غيرهم فعرفت هذه النتيجة ورأيت ان كثيرا من غيرهم يصل الى سن الثمانين والتسعين بينما القليل منهم جدا من يبلغ هذا المقدار من السن . فقلت ان صح هذا فقد يكون تفسيره ذلك الاثر الوارد (كلكم عرنون واني معجل بخياركم) ولا شك أن الاشراف خيار مصطفون لانهم ذرية خير الخلق المصطفى صلوات

الله وسلامه عليه وعلى آله

ملاحظه خرى

سمعت مرة فى أحـدى مجالس الدوم از شريف الحقيقى يعرف باستخراج الابرة من قدر يغلى ماؤه أو يحمل امساك الجمرة المتقدة

ولست أدرى من أى مصدر استقى هذا الشرط الذى لا يتحقق فى أى شريف مهما [illegible] دم انسانا ذا لحم ودم؟ لست أدرى علام يعتمد هذا الشرط من أدلة ؟ ثم أى علاقة بين الشرف واستخراج الابر [illegible] الجمرة؟ [illegible] بذلك؟ ثم ألم يقل الرسول وهو [illegible] الصلاة (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة [illegible])؟

العمامة الخضراء

ابتدعها الملك الاشرف [illegible] دولة المماليك التى حكمت مصر : وكان يقصد [illegible] سنة ٧٧٣ من الهجرة تمييز الاشراف عن غيرهم . اذن فليس لها أصل صريح لا فى الكتاب

ولا فى السنة ولا فى مذا ... ... ومن أجل ذلك نعب الخلاف عصر ... فى ... لبسها . فقال الاقلون أنها بدعة ممنوعة شرعا لان الشريعة ... الناس الحرية فى اختيار ما يريدون من الازياء فتخصيص ... تشريع جديد وافتئات على الدين . وقال الاكثر ... أنها بدعة مباحة ليست ممنوعة. قال السيوطى (... يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين ... من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين فقد استدل بها بعض العلماء على تخصيص أهل العلم بلباس ... تذكيرا للعلم الشريف)

الاقبال على العمامة الخضراء

لم يقبل الاشراف ... الخضراء الاقبال كله أللهم الا اذا كانت قد ... الاقبال فان ذلك لا يمكننا اثباته ... الحالى فان الاغلبية الساحقة من مجموع الاشراف فى ... لا يلبسها . وقد يسوغ أن نعلل هذا بأن الذوق الانسانى ميال بطبيعته الى مسايرة العرف ومجاراة الاصطلاح لم يستحسن الكثير من الاشراف مخالفة المجتمع فى لون ... ذلك شذوذا

يجلب النقد والخجل . هذا قد يقلل التعامل به . وهناك سبب آخر وهو أن بعض الاشراف يقطن في اقليم واحد كأشراف قنا (١) وما حولها فلا يجدون ضرورة للتمييز بالعمامة الخضراء اذ انهم قد عرفوا لدى الخاص والعام بانتسابهم الى الرسول الكريم ولا يلجأ الانسان الى اتخاذ العلامة الا اذا جهلوه ولذلك يقول أبو عبد الله بن جابر

جعلوا لأبناء الرسول علامة

ان العلامة شأن من لم يشهر

حسنيون نزلوا من وادي فاطمة ... نزل جدهم قبلا من المدينة زمن المملكة ... الفرنساوية وخاضها قائدا فانتصر ... أرضا ... الحرمين ثم انتزعها الخديوي ... لا يزالون يقبضون ... ذكورهم ...

متحدون يجمعهم كلهم اشراف . لان ... لغيرهم الصدارة والجاه هناك منهم ... وظائف ...

ومنهم اغنياء ... التي يتطلبها شرف ...

نور النبوة فى وسم وجوههم .·. يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

ومن كلمة الطراز الا ضر فى ا مت الثانى يفهم السيد البيلاوى فيما حدثنى ب ذ ، يوم أن العمامة لم تكن فى الزمن الماضى خضراء كلها كما هى الان ال كان اللون الاخضر فى جزء منه ا فى الحق أن هذا فهم دقيق من فضيلة السيد الاديب يستحق اعجابا وتقديرا اذ أن تعبير بعض الكاتبين عنها بالعلامة الخضراء يساعد عليه ويقويه

هل يمنع غير الاشراف من لبسها؟

قال بعض العلماء لا يمنع غير الاشراف من لبس العمامة الخضراء لان فى المنع تحريما لما أحل الله .

وقال آخرون من حيث خصص عرف أولى الامر بطائفة فهى لهم دون غيرهم لان فى ذلك عصيانا لاولياء الامور وغشا للمجتمع قال صاحب رسالة الاتحاف (أقول ينبغى للحاكم منع غير الذين ينتسبون الى الحسين من لبس هذه العلامة الخضراء مطلقا) وقال السيد الحموى الحنفى ما نصه (يجب على ولى الامر منعه وردا فى نزع الطراز من رأس غير الشريف) وكذا

اجاب العلامة الاجهورى على سؤال بقع الله فى هذا المقام بالمنع الصريح

لماذا اختيرت الخضراء دون غيرها؟

قد يستفهم أحد الناس عن الباعث الذى دفع الملك الاشرف الى اختيار اللون الاخضر دون الاسود أو الاصفر مثلا . واقول أن هذا السؤال دورى كما يقول علماء البحث والمناظرة فانه لو أختار الاسود او الاصفر لقيل لماذا لم يختر الاخضر وهكذا لكن صاحب رسالة لاتحاف بإلزام الملك قوله (اختيارهذه العلامة الخضراء دون غيرها لعله بأرشاد بعض العلماء وىأن عيسى عليه السلام سينزل وعلى رأسه عمامة خضراء) وقد يعلل هذا ان اللون الاخضر كان لراية العلوين قديما فاراد الملك الاشرف أن يجعله شارة على عمائمهم

رد زعم

يزعم بعض العوام ان الشارة الخضراء التى نشاهدها فى قبعة

بعض الجنود البريطانيين علامة شرف قرشي ويسوقون لذلك شبهة يحسبونها دليلا فيقولون أنهم من ذرية جبلة الذى هرب الى الروم فرارا من الخليفة عمر بن الخطاب حينما عزم على القصاص منه اذ داس رداءه أحد الاعراب عفوا فلطمه بيده غطرسة وجهالة .

ونحن نرد زعم العوام هذا بان جبلة لم يتعد بلاد الروم فى هجرته أى لم يصل الى بلاد الانجليز ولم يعقب فيها وأننا استفسرنا عن هذه الشارة فقيل انها علامة جندية لها شأن آخر فى عرف الدولة الانجليزية ولا علاقة لها بالانساب

الدجل بالعمامه الخضراء

يلبس بعض من لا اتصال لهم بآل البيت عمامة خضراء بحجة أنه نقيب أحد الاسياد أو لجلس بجوار مقام أحدهم مدعيا أنه شريف مذكور لحفظ تغيير الحال وأنه يريد كذا وكذا على قبول جده الحسين والسيدة مع أنه لا يمت اليهما بصلة القرابة .

وفى نظرى أن مثل هذا الدجال الممقوت مع أنه آثم بلبس العمامة الخضراء التى أفتى العلماء باختصاص الاشراف بها هو فوق ذلك خداع غشاش يبتز أموال الناس بالحيل ويأكلها

بالباطل . ومن الدجل بالعمامة الخضراء ايضا ما فعله رجل من أقصى الصعيد فلقد خطب بنتا شريفة بالقاهرة مدعيا أنه شريف فلما رأوا على راسه علامة الشرف صدقوه ثم لم يكد يعقد عليها حتى علم أبوها من أحد أقاربه أنهم بالصراحة ليسوا من الاشراف . فمثل هذا الغشاش فوق أنه أثم بلبس العمامة التي ليس له فيها وجه شرعي هو كذلك آثم بادعاء النسب كذبا وغش أهل البنت وظلمهم والحديث النبوي يقول من غشنا فليس منا والقرآن يقول . وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

هل تتزوج الشريفة من غير الشريف ؟

هذا سؤال قد يوجهه من رأى أشرافا لا يزوجون بناتهم لغيرهم مطلقا ايا كان ذلك الغير . ونقول في الجواب ان الله تعالى عقد بين المؤمنين في جميع بقاع المعمورة رابطة الاخوة الدينية

---

(١) بعض الاصطلاحات تسمى غير الشريف وان كان عالما عاميا وقد جرى على ذلك ابن عنبه في العمدة فهو يطلق كلمة العامي على غير الشريف

وقد يسأل البعض فيقول كيف تقولون أنه لايوجد نص يحرم تزوج الشريفة بغير الشريف ثم تقولون ان أبا حنيفة راعى الكفاءة فى النسب فقال ان غير الشريف ولو كان عربيا ليس كفؤا الشريفة؟ ونقول أن الكفاءة حق منحه الشارع للمرأة والولى فلهما أن يتمسكا به ولهما أن يتنازلا عنه فاذا تنازلا عنه ورضيا أن يأخذ غير الشريف شريفة فلا مانع من قبل الشرع ولا حرمة لأن المؤمنين أخوة كما قلنا .

قال ﷺ (لايزوجهن أحد الا من الا كفاء) قال العلماء وهذا الوجوب فى لايزوجهن متعلق بالاولياء حقالهم وبها حفالهم لكن إنما تتحقق العصبية فى حقهم اذا كانت صغيرة لانها اذا كانت كبيرة لاينفذ عليها تزويجهم الا برضاها فهى تاركة حقها كما اذا رضى الولى بترك حقه حيث ينفذ .

ولكى ننور الاذهان فى هذا الموضوع المهم يجب أن نورد مادتين من كتاب الاحكام الشرعية فى الاحوال الشخصية لمحمد قدرى باشا . المادة [illegible] تعتبر الكفاءة من جانب الزوج لا [illegible] بالشروط

المذكورة فى المادة الآتية «الكفاءة حق الولى والمرأة » المادة الثالثة والستون ونصها « اذا زوجت الحرة المكلفة نفسها بلا رضى وليها قبل العقد أو زوج الصغيرة غير الأب والجد من الاولياء أو زوجها الاب أو الجد وهو سيىء الاختيار يشترط لصحة النكاح ان يكون الزوج كفؤا للمرأة نسبا ان كانا عربيين أصلا واسلاما ومالا وصلاحا وحرفة سواء كانا عربيين أو غير عربيين »

فاذاقرأت هاتين المادتين وما كتبناه فى الكفاءة عرفت أن الخطة التى تمسك بها الاشراف موافقة لفقه أبي حنيفة الذي اعتبر كفاءة النسب

الكفاءةوالارستقراطية

قد يقول قائل ما بال الاحكام الفقهية الاسلامية قد راعت كفاءة النسب أو الحرفة أو غيرها مع أن الاسلام جاء لمحو الفوارق وازالة الارستقراطية والاستقراطية بين الناس ؟ ونقول ان نظام الطبقات المعيب الذى كان سائدا فى العصور الوسطى والذى نرى الهند الآن ترزح تحت اعبائه لايمكن أن يسمح بتقريب الطائفة الدنيا من الطائفة العليا ؟ الا بدون الاحتيال فى حال الزواج ولا

فى حال الاكل والشرب ولا حتى فى المشى فى الطرقات وهـذا ما
عليه المنبوذون مع الهندوس الان . اما الـكفاءة المعتبرة فى الاسلام
فانها فى حدود المعقول واللياقة . اذ قلنا انهـا حق للولى والمرأة
فمتى تنازلا عنه جاز العقد ولا منع من الشارع. فأنت ترى ان هذه
الكفاءة لا تمت إلى نظام الطبقات بصلة.

على ان الاسلام وقد اعتبرها راعى مصلحة الزوجين ودوام
عشرتهما فاننا نحس من أنفسنا بميـل طبيعى الى من يتفق معنا
فى الحرفة او فى اللغـة أو النسب أو الوطنيـة او ما الى ذلك مما
يستانس به فى أن الشارع قصد من اعتبار الـكفاءة تماثل النفسيتين
نفسية الزوج ونفسية المرأة حتى لا تفتخر عليـه بنسب أو جاه
فيشمئز منها وتقع الفرقة والطلاق الذى هو أبغض الحلال الى الله،
أليس كذلك؟

جاء فى الجزء الثانى من شرح الفتح القدير من كـتب الحنفية
ما نصه فى باب الـكفاءة (يعنى أن المقصود من شرعية النـكاح
انتظام مصالح كل من الزوجين بالاخر فى مدة العمر لانه وضع
لتاسيس القرابات الصهرية يصير البعيد قريبا عضدا ومساعدا يسره

ما يسرك ويسوءه ما يسوءك وذلك لايكون الا بالموافقة والتقارب ولا مقاربة للنفوس عند مباعدة الانساب اهـ)

راي الشعراني في التزوج من الشريفة

وللامام الشعراني رحمه الله في زواج الشريفة بغير الشريف رأى خاص يغلب عليه الجانب الصوفي . قال في مننه ومن الادب أن لا يتزوج أحدنا شريفة الا أن يعرف من نفسه أن يكون تحت حكمها ورهن اشارتها فيقدم لها نعلها ولا يؤذيها بالزواج عليها ولا يقتر عليها في المعيشة الخ)

هذا رأى الشعراني ابتدأه بقوله ومن الادب الخ .. مما يدل على أن الزواج بالشريفة جائز في حد ذاته الا أنه مخالف للادب الديني والورع فتامل ، وكان رأى الشعراني قد تسرب الى العوام اذ سمعتهم يقولون لا يتزوج غير الشريف شريفة لانه لا يقدر على شروطها وواجباتها .

شبهه وردها

تقرير الشبهة أن العرب كانوا يفضلون الزواج بالبعيدة على

الزواج بالقريبة معللين اياه بأنه يخرج نسلا حائزا لصفات القبيلتين بدل صفات قبيلة واحدة".

والبحث العلمي الآن أيد هذه النظرية فان أحد العلماء الفرنسيين ذكر في كتابه « أصل العائلة » كلاما يثبتها بل أن أحد المجربين أجرى تجربة في الارنب على هذا فنجحت وذلك بان ربى أرنبا مع مع أخيها فوطئها فانتجت نسلا حائل دمه فلوحظ فيه ضعف وربى أخرى مع بعيد فوطئها فانتجت نسلا قوى الدم . فكيف يتفق هذا مع الكفاءة التى ارتضاها الاسلام وجعلها حقا للشريفة ؟ فهب الاشراف زوجوا بعضهم فى حدود دائرة هذه الكفاءة ولم يزوجوا غير الاشراف. ألا يكون نفس الاسلامى بهذا قد عمل على اخراج نسل ضعيف أو على الاقل قد ارتضى أن تخرج طائفة من الناس نسلا ضعيفا ؟

وتقرير الرد أن هذا الذى ذكر فى الشبهة انما ينطبق على القرابة القريبة كأن تكون المرأة والرجل من أسرة واحدة . أما زواج

الشريفة من شريف ليس من من أسرتها وقد لا يجتمع معها الافى جد خامس أو سادس أو اكثر ولا يخرج نسلا ضعيفا.اذان هذا البعد بمثابة تعدد القبائل فاندفع ما قيل وبطلت شبهة أن الكفاءة التى منحها الاسلام للشريفة قد تتصادم مع النتيجة العلمية المثبتة ولا غرو فالدين والعلم توأمان لايختصمان

الفرق الدينية التى نشأت بسببهم

يمكن القول بان الفرق الاسلامية بدأت من اليوم الذى قبض فيه رسول الله ﷺ فان الصحابة انقسموا فى الخلافة الى ثلاثة آراء . فقال الانصار بجعلها انتخابية فى جميع المسلمين .وقال أكثر المهاجرين بجعلها فى قريش ، وقال أصحاب على بجعلها فى بنى هاشم

وفى أواخر عهد عثمان قامت جمعيات سرية تدعو الى على وكان من زعمائها عبدالله بن سبأ . فلما قتل عثمان تحققت مطالب من يقولون أن عليا اولى بالخلافة فبايعه المسلمون الا جماعة لم بايعوه وأقلية أخرى على الحياد

وقام معاوية يطلب الخلافة لنفسه فأدى الأمر الى الحروب

بينه وبين على التى فصلها التاريخ . وفى واقعة صفين رضى الفريقان اتباع على واتباع معاوية بتحكيم كتاب الله. غير أن قوما من جند على خرجوا عليه وقالوا أن التحكيم خطأ. وبذلك سموا الخوارج وهم فرق عدة . ويسمون الشراة بمعنى أنهم باعوا أنفسهم لله. ويسمون المحكمة بمعنى أنهم يقولون لا يجوز التحكيم : ومن الفرق التى نشأت بسبب آل البيت أيضاً الشيعة وأصل فكرتهم القول بان أهل بيت رسول الله أولى أن يخلفوه . وأكثر آرائهم على أن النبي أوصى بولاية على ولم يترك الأمر للامة . ويستدلون فى هذا باحاديث فيها طعن أو وضع

وقال الشيعة بخطأ أبى بكر وعمر وعثمان فى قبول الخلافة مع علمهم بفضل على كرم الله وجهه . ومن الشيعة من قدس عليا الى درجة المغالاة ومنهم من قال حل فى على جزء الهى

ويعتقد بعضهم أن عليا كان يعلم الغيب ويزعم بعضهم أن الرعد صوته والبرق تبسمه وهم فرق كثيرة. فمنهم الامامية ولا يزال لهم اناس حتى يومنا هذا فى الهند والشام والعجم ويران . ومنهم الزيدية ببلاد اليمن ومذهبهم يقرب من السنة لانهم يقولون

بصحة خلافة أبى بكر وعمر مع أن عليا أفضل . انتهى بتصرف من كتاب التاريخ الاسلامى للدكتور مصطفى زياده وتجد مثله بايضاح فى كتاب أصل الشيعة لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء وكتاب الملل والنحل للشهرستانى ومقدمة ابن خلدون

رأى الشيعه فى عصمة آل البيت

ادعى الشيعة عصمة سلالة المختار وأثبتوا نبوات لاولاد على واعتقدوا اتصالهم بالاله فالحدوا بذلك الحادا شائنا

والحق أن العصمة أى عدم اقتراف الذنوب طول العمر منحة الهية اختصها الله بالانبياء فلا تتعداهم إلى غيرهم من باقى البشر: ومن المعلوم بنص القرآن أن محمداً صلوات الله عليه خاتم الأنبياء فلا نبى بعده . اذن فقد بطل زعم الشيعة وتلاشى كلامهم . أما قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فلا يدل على أنهم معصومون إذا أن الله سبحانه يريد بارسال الرسل وأنزال الكتب هداية الناس جميعا ولكنهم قد يهتدون فيسعدون وقد لايهتدون فيشقون . فكذلك يريد جل شأنه بما أمر ونهى ذهاب الرجس عن أهل البيت وتطهيرهم ولكن منهم من لايذهب

عنه الرجس ولايتطهر من الذنوب. وهذا ماتقتضيه المشاهدة فاننا نرى تقصيرا من بعض الاشراف يستوجب الاسف ويستدعي الاستياء فلوكانوا معصومين لما ارتكبوا ذنبا أواقترفوا جرما فبطل زعم الشيعة في العصمة.

محبتهم واجبة شرعا

اذا كانت محبة الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة شرعا بنص الحديث القائل (لايكون المرء مؤمنا حتى يكون الله ورسوله أحب اليه من نفسه وماله وولده) فان محبة أولاده وذريته واجبة أيضاً تبعا لذلك اذا أنهم بضعة منه يحب من يحبهم ويكره من يكرههم

وفي سورة الشورى من التنزيل (قل لاأسالكم عليه أجراإلا المودة في القربى) روى أن أحد الصحابة قال عند نزول هذه الآية من هم قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم يارسول الله فقال هم على وفاطمة وأولادهما الحسن والحسين . رواه الامام البغوى في تفسيره مرفوعا بسنده الى ابن عباس

وفي الحديث الشريف (تركت فيكم ماان تمسكتم به لن تضلوا كتاب

الله وعترتى آل بيتى» فقد اعتبر ﷺ محبتهم واجبة كمحبة القرآن الذى هو دستور الأمة وقانونها .

لاحظت من أحد الاساتذة الصالحين بالأزهر أن فراشا كان يقدم له اوراقا فيبدأ بتقبيل يده فيمتنع الأستاذ من السماح له بذلك اكراما لصلته بالرسول . ويشبه هذا ما روى أن زيدا بن ثابت صلى على جنازة فلما ركب دابته أخذ ابن عباس بركابه فقال خل عنى يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء، فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل مع آل بيت رسول الله . وصح أن العباس شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تفعل قريش من تعبيسهم فى وجوههم وقطع حديثهم عنهم عند لقائهم فغضب عليه الصلاة والسلام غضبا شديداً حتى احمر وجهه ودر عرق بين عينيه وقال (والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله) وروى الديلمى والطبرانى والبيهقى مرفوعاً أنه صلى الله عليه وسلم قال (لا يؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من نفسه وتكون عترتى أحب اليه من عترته) ويروى أن عبد الله بن الحسن أتى عمر

الى عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال ابن عبد العزيز اذا كانت لك حاجة فارسل الى احضر أو اكتب لى ورقة فانى استحى من الله أن يراك على بابى

قال بعض العلماء « من حقوق الشرفاء علينا وأن بعدوا فى النسب أن نؤثر رضاهم على أهوائنا وشهواتنا ونعظمهم ونوقرهم ولا نجلس فوق سرير وهم على الارض » ولما ضرب جعفر بن سليمان من آل البيت مالكا ابن أنس رضى الله عنه وغشى عليه دخل الناس عنده فقال لهم بعد أن أفاق أشهدكم أنى جعلت ضاربى فى حل لقرابته من رسول الله .

وقد قدر هذا الواجب الدينى ازاء عترة المختار اسلاف من الاغنياء فوقفوا لهم كثيرا من الممتلكات التى لها ديوان خاص بوزارة الاوقاف والتى لا يزال ريعها يصرف على الاحفاد

وقد بلغ من محبة بلاد المغرب للذرية النبوية أن خصوهم بكلمة يامولاى عند الخطاب تقديرا لهم واحتراما هكذا حكى الاديب السيد البيلاوى نقلا عن قاضى قضاة المغرب الذى زار القاهرة عام ١٣١٢ الهجرية

سبب هذه المحبة الواجبة

عرفت من النصوص الواردة فى الفصل السابق أن محبة الأشراف واجبة على المسلمين .وقد يقوم فى ذهنك سؤال فتقول هل هذه المحبة وجبت علينا لقرابتهم من رسول الله ولو يعملوا صالحا أو محبتهم مقيدة بالعمل الصالح ؛

ونحن نجيب فى هذا الفصل عن هذا السؤال فنقول . قد اختلف العلماء فى ذلك الى طائفتين . فقالت احداهما ان السبب مجرد القرابة ليس الا . ويترتب على هذا ان الشريف ذو منزلة تجب مراعاتها وتقديرها ولو لم يعمل صالحا . والى هذا المعنى يشير الامام الشعرانى رحمه الله فى مننه حيث يقول «مما من الله به على محبتى للاشراف اهل البيت ولو كانوا على غير قدم الاستقامة » ويقول الشيخ محيى الدين بن عربى رحمه الله « الذى اقول به أن ذنوب أهل البيت انما هى ذنوب فى الصورة لا فى الحقيقة لان الله تعالى غفر لهم ذنوبهم بسابق العناية لقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ولا رجس ارجس من الذنوب »ولا يجهل احد

ما الشعرانى وابن عربى من القدم الثابت فى التصوف والمقام الاعلى فى فقه الدين ومعرفته .

وقالت ثانيتهما أن السبب ليس مجرد القرابة بل هى مقيدة بصالح العمل . ويترتب على هذا أن الشريف العاصى لا يستحق تقدير اولا تبجيلا لانه تعدي حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولانه خالف سنة جده وكان اولى الناس بالتمسك بها فهو حينئذ كالابن العاق المتمرد على أبيه لايحظى برضى الناس ولاعطفهم

يروى فى هذا الصدد أن شريفا عاصيا وعبدا مطيعا كانا يسكنان قرية . فكان الناس كلهم يحبون الثانى ويبجلونه ويبغضون الأول ويحتقرونه. فقال الأول ذات يوم للثانى كيف تغتصب منى قلوب أهل القرية وجدى خير من جدك . فاجاب الثانى أن جدك خير من جدى حقيقة ولكنى خير منك. نهجت منهج جدك فاحبنى الناس حبا فى جدك . ونهجت منهج الشيطان فكرهك الناس كراهة فى الشيطان فعند ماتتساوى

بى فى الاستقامة تكون خيرا منى لقرابتك من سيد الانسانية .

هاتان طائفتان من العلماء مختلفتان فى هذا الشأن . ولكل وجهة هو موليها . وأنا أرى من باب الاحتياط والورع رجحان الرأى الأول، فقد حكى أستاذى المحدث الكبير الشيخ الشنقيطى ان ابن عربى كان يقول أن ذرية خير الوجود قد من الله عليها بحسن الخاتمة فما من شريف تراه فاسقا مستهترا إلا ويرزق فى ختام حياته حسنات تقربه إلى الله فيموت مكفر السيئات وكان يستأنس فى حكمه هذا بقوله تعالى «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»

هذا ماأرجحه . أى أرجح وجوب محبتهم ولو كانوا عصاة مع وجوب أن تسدى اليهم النصائح والمواعظ والذكرى فان الذكرى تنفع المؤمنين

كراهة آل البيت

إذاً وجبت محبتهم سواء كانوا صالحين أو فاجرين على القول الأول الذى استحسناه أو وجبت بشرط الصلاح على القول الثانى فقد ثبت تحريم كراهتهم إذ أن الأمر بالشيء نهى عن ضده كما يقولون . ولا شك أن كراهتهم تفسد الايمان وتضعف اليقين وتجلب سوء الخاتمة

والعياذ بالله : وقد حصل مرة أن شخصا كان يبغض الاشراف فلما مرض مرضا خطيرا رأى فى منامه ماينذره بويل وعذاب فلما شفى سال جدى (١) رحمه الله فاجاب بان كراهة الاشراف مجلبة لسوء الخاتمة ومن ثم أقلع الرجل عنها وتاب

وقد يكون من الحق علينا ازاء هـذا البحث أن ندلى بما نفهمه فى تعليل كراهة بعض الناس لآل البيت فنقول

أولا : ان ايمـان النـاس ذو مراتب متفـاوتة فبعضهم عظيم الغيرة شديد الورع لايرضيه إلا أن يتمسك بكل مقتضيات التقوى فلا يستطيع أن يحمـل فى نفسه غضاضة للمتصلين بخـير الخلق . وبعضهم ضعيف الايمان متهاون لان الوازع الدينى قد فقد عنده فسهل عليه أن يجرؤ على كراهة من أوجب الشرع محبتهم

(١) ولد رحمه الله بالمخادمة من أعمال مركز قنا وتلقى العلم بالأزهر الشريف اثنى عشر عاما ثم أقام بقية حيـاته بيـلده يفقه الناس فى دينهم ويديم للعلم مذكراته إلى أن توفى سنة ١٩١٤ م عن تسعين عاما قضاها فى البر والخير نفعنا الله به ورحمه رحمة واسعة

ثانيا : أن أكل الحرام واستعمال المنكرات وتعاطي الخبائث قد أثر على البصيرة فاضعفها وحجب عنها أدراك الفضائل السامية التي ندب اليها الدين.

ثالثا : أن بعض الاشراف مستهتر ماجن لا يراعي في ارتكاب الرذيلة إلا ... شرفا مما أدى إلى وجود فرصة لغير الاشراف يتوصلون منها الى القدح في الكل جريمة الجزء مع أن هذا لا يبرره منطق سليم فان جميع الهيئات والطوائف في المجتمع الانساني لا تخلو من أفراد يحطون من قدرها ويسيئون الى سمعتها .

أما أن الأشراف هم ... المحافظة على الخلق والفضيلة فذلك مالاريب فيه ولكن فساد ... لا ... دليلا في تجريح الجميع

رابعا : ان كثيرا ... تزيا بزي الاشراف وليس منهم مما أدى الى ... شريف حقيقي ومن لا تجب كغشاش دخيل

خامسا : أن كثيرا من جهلة الاشراف قد تسول له نفسه ان يعاظم ... يقص ... مجد الآباء وحسب الاباء ويصرح ...) وان فاطمة تعرف أولادها

وسوى ذلك مما يفيد الامتياز والتفاخر ومعلوم أن النفس البشرية ميالة بطبيعتها الى الغاء الامتياز ومن ثم لا يجد الصامعون بدا من أن يستثقلوه ويحملوا له البغضاء

نصيحة لغير الاشراف

أدعوكم أيها القوم الى محبة الاشراف ومودتهم . ادعوكم الى أحترامهم فقدجاء فى المثل السائر «لاجل اوودىسقى المليق» . أدعوكم الى حمل أعمالهم على محمل حسن فان كراهة آل الرسول وسوء الظن بهم أساءة الى الرسول . ولست أدرى ولا المنجم يدوى باى قلب تبغضونهم وباى لسان تجرحونهم ؟ الستم مؤمنين بالقرآن القائل (قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة فى القربى) ؟ الستم مصدقين بالسنة القائلة (أرقبوا عهدا فى آل بيته) ؟ الاتدرون أن خواص العلماء والعارفين دانوالهم بالولاء وطهارة السريرة . ألا تعلمون معى أن كراهة الاشراف طريق الغضب الالهى والعياذ بالله ؟

ليس من سبب أيها القوم فى كراهتهم الا الشيطان العدو المبين . ليس من سبب الا النفس الأمارة بالسوء . لا يوجد مطلقا ما يبرر كراهتهم . فانتم ان قلتم ان بعض الاشراف ذو عمل خبيث يوجب النفرة والاشمئزاز قلنا علاج هذا أن تحبوهم طوعا للامر

الوارد وأن تسمحوهم طوعا للامر أيضاً . وأن قلتم أن بعض الناس قد تزيا بزى الاشراف ولبس عمامتهم وليس منهم فلم نميز بين المحق وغيره قلنا أن المدار فى مثل هذا على الظن . جاء فى كلام المتمولى مانصه « لاينبغى لمؤمن محب لله ولرسوله أن يتوقف على تعظيم الشريف والاحسان اليه على معرفة صحة نسبه بل يكفيه تظاهر الشريف بالشرف وذلك أوجب للمؤمن) أى احتياطا

أيها القوم . اكتسبوا رضى ربكم بحب صفوته فى خلقه وال بيت نبيه واحفظوا لهم الود لقرابتهم من خير الخلق،وتذكروا هذا الواجب وما يتذكر إلا أولو الالباب.

هل ينفع الشرف فى الاخرة ؟

الكلام فى هذا الفصل عويص شائك تضاربت فيه أقلام وتحيرت فى سبيله أفهام . تناوله القدامى فى كتب التفسير والحديث عند المناسبات بل أفردوه بمؤلفات . وتناوله الاستاذ المحدث السيد عبدالله عبد الصديق الغمارى جزاه الله خيرا فى أعداد سنة السابعة من مجلة الاسلام بمقالات طوال وافيات استحق عليها منا ومن المحبين الثقافة الدينية كل ثناء

ونحن اذ نعرض لهذا الموضوع باطناب نكون قد تجاوزنا حد الاختصار الذى التزمناه . ولذلك لا نجد بدا من أن نكتفى

هنا بخلاصته التي تلم بالغرض وتفي بالفائدة فنقول

نظر بعض الناس نظرة سطحية إلى قوله تعالى (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ) وإلى قوله تعالى (يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) وإلى قوله تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) وإلى قوله تعالى (ولا يسأل حميم حميما) وإلى قوله تعالى «يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» وإلى قول الرسول ﷺ في ختام حديث طويل رواه مسلم «ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» وإلى قوله ﷺ في نحو حديث آخر أيضاً «ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين أو عمل صالح»

نظر بعض الناس [illegible] في ذلك ومثاله في القرآن والسنة فظن أنه لا ينفع [illegible] في الآخرة وأن المنتسبين إلى صاحب الشريعة [illegible] يوم الدين على غيرهم ترفعهم درجة [illegible] مكانة [illegible] يجعلون الحكم [illegible] مستندين إلى قوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

ونظر جماعة مدققون بعين البحث والتروية وأنى ساق هذه الآيات [illegible]

[illegible]

والامر . وان هذا لا يقوم حجة على عدم نفع الانتساب الى أفضل الكائنات فى الآخرة مع الايمان بل رأوان هذه ك فى القرآن والسنة ما يؤيد هذا النفع ويفيده صراحة بلا غموض ولا ابهام

قال تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) وروى الطبرانى عن طريق الحسن بن سهل عن عتبة جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر رضى الله عنه انه سمع عمر رضى الله عنه حين تزوج ابنة على كرم الله وجهه يقول (الا تهنئونى . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب الا سببي ونسبي)

هذا ملاك القول فى الموضوع ومنه ترى أن للشرف نفعا فى الآخرة يقرب ذرية حبيب الله الى ربهم الفعال لما يريد ويختصهم بمكانة عنده لم ينلها غيرهم من الخلق صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله . وان كان مقداره نفع وصلته مجهولا لا تحديد فيه ولا تكييف

وقد يوجه هنا فى الصدد سؤال فقال . هل هذا النفع الذى يتناول الى الحكم به خصوصا لـ [illegible] منهم أويشمل حتى غير

المتقين ؟ ونقول فى الجواب . أنه لامانع احتمالا من أن يكون شاملا بمعنى أن يرفع الله بسببه درجات فى الجنة وان يخفف بسببه عذابا فى النار وكلا الفضلين نفع كبير لاشك فيه .

وأظن بل أومل أن هذه النتيجة فى البحث لاتؤدى بالاشراف الى الاتكال وعمل غير الصالح فهم يعرفون أن الاتكال ليس من خلق أهل الايمان والعزم . كما يعرفون أن التسابق فى الخيرات يزيد فى منزلتهم لدى ربهم . لذلك نطمع أن يتخذوا من هذا النفع الذى بيناه هنا مشجعا على الصلاح واكتساب الحسنات وسلما لارتقاء هممهم العالية فى ميدان العمل الطيب من صلاة وصيام وصدقة ومعاملة حسنة وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

نصيحة للاشراف

انى أنصح للاشراف وأدعوهم الى أن يكونوا مثلا أعلى فى الاستقامة . أدعوهم الى أن يؤمنوا بقرابتهم من زعيم الانسانية فيتصفوا بصفات الوقار والكمال . أدعوهم الى التحلى بمحاسن السلوك والتخلى عن مساوئه . أدعوهم الى كل فضيلة وكرامة . أدعوهم الى طرح التعصب ودعوى الجاهلية . أدعو الفاسق منهم الى الصلاح والتقوى والبخيل فيهم الى الكرم والسخاء . أدعوهم الى كل خير.

وبالجملة أدعوهم الى أن يكونوا أشرافا حقا وصدقا وعملا فان

فان من العار الذى لايحتمل أن يكون المرء شريف النسب ثم لا يكون عمله غير شريف

أيها الاشراف . ان للدين حقا عليكم قد يكون أكثر من حقه على غيركم ، وأن لرسول الله عتبا عليكم قد يكون أكثر من عتبه على سواكم .فهامن شك فى أن الذرية اذا لم تحافظ على مجد الاباء كانت مخطئة . تذكروا هذا واعرفوا أن الابن الطائع يعتبر بارا والابن العاصى يعتبر عاقا أعرفوان الخلف ينصف ويحب اذا اقتدى بالسلف.أذكروا ما كان عليه أسلافكم من فضيلة وتقوى فاحيو سنتهم واقتدوا بهم . ثقوا أن أى رزيلة مهما صغرت لا تناسب صلتكم بالرسول . أقرأوا التاريخ تجدوا أن معظم الاولياء والعارفين كانوا من سلالة البيت النبوى

أيها الاشراف البخلاء سأخصكم بهذا النداء الاخير فنفسى من خطتكم ممتعضة متألمة . ما لكم والبخل ؟ مالكم والقبض على المال ؟ هل يناسب ذلك الشح مجد قريش؟ هل يتلاءم مع كرم جدكم المصطفى الذى راودته الجبال انشم من ذهب فأراها أيما شمم؟ اين أنتم من ذلك الشريف الذى كان يمتلك ثلاثين الف درهم فالتجأ به مدين فأعطاها كلها له وقال لى الله فذهب المدين يفكر هذا السخاء الهاشمى ويقول • لاعجب فهذا من ذرية خير الكرماء

لاعجب فالله أعلم حيث يجعل رسالته

أيها الاشراف عموما أن فى تاريخ الاشراف السابقين عبرة فهل تعتبرون

نقابة الاشراف

يرجع تاريخ النقابه الى القرن الثالث الهجرى فان العباسين انشأوها لتقوم بمعرفة الاشراف حتى لايندس بينهم غيرهم وقد كانت نقابة الاشراف بمصر تابعة للنقابة الرئيسية ببغداد ثم انفصلت عنها فى أيام مضت فهى الآن مستقلة وبدار الكتب الملكية كتاب خاص بالكلام على النقابات وتاريخها .

هذا والفروض فى نقابة الاشراف أن تصعنا دونها فى مهام أمورهم وأن تبرهن على وجودها بالسهر فى مصالحهم فتضرب بيد من حديد على تلك الانساب المزيفة التى انتشرت فى هذا الزمن المضطرب انتشار الجراد وعلى تلك العمائم الخضراء التى زيفت بدون رادع ولا زاجر .

أن الحالة تستدعى من غير مراء نظرا واهتماما يقضيان على هذه الادعاءات الباطلة التى نخشى أن تطغى فى المستقبل فلايكتفى الدجالون بكتابة الانساب وتزييفها بل يسعى كل واحد منهم أنه نقيب الاشراف

لقد سعدت فى فضيلة علم الادب رئيس النقابة السيد محمد على الببلاوى فجلست معه فى داره بالحلمية بمصر

قصيرة وجهت اليه فيها الاسئلة الآتية : —

ما رأى فضيلتك فى هذه الاعلانات التى يزيفها بعض من لامروءة عندهم ؟ ولماذا لم تسمعنا السيدة صوتها فى ذلك . قال اننى خاطبت ولاة الامور فيها غير مرة فوجدت أن الحرية الشخصية التى كفلها القانون تحول دون منع هؤلاء من الانتساب إلى أى قبيلة . قلت وما هى الحرية الشخصية التى كثرت ادعاء مارأيك فيها؟ قال إنهم يقولون ان الحرية تبيح للناس أن يعملوا كما يشاءون .

قلت ياسيدى الحرية محترمة حتى ولو كان فيها فوضى واعتداء على الغير ؟ [illegible] والعمل الشائنة تحت ظل الحرية المزعومة التى مرتكبيها ؟ يالله لقد أضرت بنا هذه الفوضى التى نسميها حرية ضررا بليغا نرجوك يارب اللطف فيه .

قال الاستاذ السيد ... وأسأل الله أن يوفق النقابة من تادية واجبها على أكمل وجه وأفضله .

ثم خرجت شاكرا لفضيلته علمه وحلمه وتواضعه وغيرته

ادعاء الشرف كذبا

قال صلى الله عليه وعلى آله (من انتسب الى غير أبيه فعليه لعنة الله)

هذا حديث وارد صريح الدلالة وضح المعنى فى أن اللعنة ومعناها الطرد من رحمة الله منصبة وواقعة على من ادعى نسبا غير نسبه كهؤلاء الخادعين الذين يدعون انتسابهم بآل البيت النبوى كذبا غير حاسبين لجريمتهم حسابا ولا خائفين من ربهم عقابا فى حين أن ادعاء الشرف زورا لا يقل فى نظر العلماء عن أى ادعاء آخر كاذب . قال الامام مالك رضى الله عنه (من ادعى الشرف كذبا يضرب ضربا وجيعا ثم يشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لأن ذلك استخفاف بحقه ﷺ)

وأقول . هذا علمنا كذب ادعائه ونيقناه . أما اذا اشتبه علينا الامر فنحن مكلفون من قبل الشرع أن نأخذ بالظن احتياطا فى الانساب فقد يكون المدعى صادقا فى الواقع . قال الكاتبون فى هذا المقام أن مالكا كان يعظم من اشتبه فى نسبه ويقول لعله شريف فى نفس الامر

وعندى أن هذا معقول فان الناس مأمونون على أنسابهم ومسئوليتها تقع عليهم وحدهم ومن كذب على الرسول فى انتساب

نفسه بنسبه فم زره علىه (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما)

عوامل الادعاء

قد تسألنى ما هى الاسباب والعوامل التى تحدو ببعض الناس الى الادعاء فى النسب . فأقول :

من البدهى أن النفوس البشريه ميالة دائما الى استكمال نقصها فى كل ناحية . فالفقير يتشوق للغنى تطلعا منه الى المال الذى حرم منه . والجاهل يقدر العلماء ميلا الى الثقافة التى منعها . والرجل يحب امرأته لان فى جسمها نعومة وليونة مفقودتين عنده . والمرأة تحب الرجل الخشن لان النعومة التى تلتذ بخشونته التى ليست عندها وهكذا .

وفى حياتنا الاجتماعية شواهد عدة وقصص كثيرة تتفق مع ما ذكرنا وتؤيده . يقول الناس أن حاكما قد فصل من وظيفته فاقعدأ على قارعة الطريق وسمى (سبيلا) يشرب منه المارون ووضع بجواره عدداً من الكيزان وجعل يظهر نفوذه على الشاربين فاذا أمسك احدهم بواحد من الكوز قال دع هذا وخذ غيره وهكذا يشبع نفسه بهذا النوع من السلطة ويكمل نقصه الذى يحس به .

ونحن نرى الابن الصغير يلبس عمامة أبيه الكبيرة حبا

فى أن يكون كبيراً مثله كما نرى البنت تلعب بطريقة أمها ميلا فى أن تكون أما مثلها ونشاهد ... د ... قد ته يقول فى شأن من هو أرفع منه قدراً (...)

لقد شاهدت ... ع ... من غلمان المدارس ... يتقدم الى المارين فيسأل كم الساعة ؟ فقلت وما شأن هذا بالساعة وأى ميعاد ... ؟ ثم علمت ذلك أخيراً بأن هؤلاء الغلمان يحسون فى أنفسهم بأن المجتمع يهملهم ... وأن هناك فارقاً بينهم وبين غيرهم فلكى يزيلوا ... الناس يسألون هذا السؤال الذى يرضيهم ويحدث نوعاً ما من الصلة بينهم وبين المسئولين

على ضوء هذه الحادثات نستطيع أن ... ادعاء النسب ... أن من يحس بنقص فى ... أن يدعى نسبا مكذوبا ... ق بينه وبين غيره

وعندى أن ... يصرح بنسبه الحقيقى أيا كان ... على الناس . فان فى التصريح بالحقيقة شجاعة أدبية واعترافا ممدوحا ووقوفا عند الحد ...

انكار الانساب

كما أن هناك فريقاً ... وقد شرحنا

ما فهمناه في أسباب الاد . : كذلك يعمد فريق آخر الى انكار الانساب فلا يسلم بها بل يشمئز منها . فاذا قلت أن فلانا شريف حسني أو حسيني أو فلان عربي أو غير ذلك أجابك وهو غضبان حانق ياعم أترك هذا فقد حصل . واذا قلت أن الا ل ... غال الاحسان دخلا كبيرا في مواقف الشخص المحمود ... عض ... وهو ناقد كأن نسب غيره حمل ثقيل عن عاتقه

اخبرني العلامة الاديب السيد الببلاوي في هذا المقام أن أحد الافاضل زار ذات يوم ... اشراف لهم خصوم حاقدون فسأل هذا الفاضل . أهؤلاء الاشراف حسنيون أم حسينيون ؟ فاجابه احد الحضور ... في ذاته هذه الخصومة . أنهم ناس طيبون ولم ... عن السؤال بل تهرب . فقال هذا الفاضل وقد ... ما سألتك عنهم ... انهم فاسدون بل سألتك ... سيدنا الحسن أم سيدنا الحسين فعلام هذا التهرب ؟

وإنكار الانساب ... كثيرا في عصرنا الحاضر الذي سهل فيه الاجتراء على مقامات الناس ومنازلهم كما أننا قد نجده أيضا في بعض المؤلفات التاريخية والنسبية

جاء فى تاريخ الدوله الفاطمية أن الطاعنين طعنوا فى نسبهم وحكى ابن عنبسه فى عمدة الطالب أن المرتضى طعن فى نسب أسعد وعندى أن مثل هذا الطعن ذميم مستهجن فان الناس مامونون على انسابهم كما قلنا وهم المسؤولون عنها يوم القيامة اذا كانوا مفترين فلا دليلنا الا نصدق احتياطا خشية أن يكون النسب صحيحا فنقع فى الاثم والحرج

عوامل انكار الانساب

لانكار الانساب عوامل وأسباب كثيرة نذكر لك منها ما ياتى .

أولا : من فقد نسبا يعتز به والنفس ميالة الى الاعتزاز فانه يجد نفسه أمام ذوى الانساب منكمشا فيعمد الى انكارها بتاتا لتتساوى الرؤوس ولذلك نقرأ فى ترجمة الحطيئة الشاعر المشهور انه كان ساخطا على بيوتات أهل السيادة والمجد هاجيا لهم بكثير من شعره اللاذع لانه نشا لا يعرف أبا

ثانيا : من عاش فى بيئة لا تقيم للانساب وزنا كبيئة المدن فتراه اذا انتقل الى بيئة أخرى يسمع فى أحاديثها نغمات الاعتزاز بالقبائل والانساب يمجها ويسخر منها لانه لم يالفها

ثالثا من أساء اليه شخص ذو نسب ذات تدفعه شدة الالم

الى حد أن يقول « والله لو كان ذا نسب طيب ماعمل هكذا »

المخاطبة بالسيادة

جرى العرف قديما وحديثا على أن يخاطب الشريف بكلمة «السيد» وان يكتب اليه بهذا اللقب الذى يفيد تعظيمه واحترامه فهل يجوز هذا ؟ نعم هو جائز من غير شك . بل هو مستحسن لانه توقير نسل الرسول وقد قلنا فى فصل سابق أنه يجب توقيرهم وتتاكد محبتهم

أما منح غير الشريف هذا اللقب فى مخاطبة أو كتابة فان كان المقصود منه أنه سيد منزله أو سيد فى سلوكه أو قصد به مجرد الاحترام فلا مانع . وان كان المقصود منه أنه سيد نسبا فذلك اختلاق وقد امرنا بذلك فى [illegible] الكتاب . وأن قصد به ايلام الاشراف وايذائهم فهذا لا يخفى حكمه عليك بعد ان قرأت فصلا خاصا فى وجوب محبتهم وكسب رضاهم

رأيت مرة [illegible] يغضون لاشرف يوجه فى مجالسهم كلمة (ياسيد) لغيرهم [illegible] قاصدا استفزازهم واشعارهم بانه لافارق بينهم وبين غيرهم .

بقى أن نقول هل يجوز للشريف أن يسند الى نفسه لقب السيادة فيقول أنا السيد فلان . والجواب . لا . فقد يداخله

حينئذ الغرور والكبر وهما محرمان الا ترى أنه لايجوز ولايليق
ان يقول العالم أنا للعالم فلان ولا الوزير أنا لوزير فلان

نقل كتاب نور الابصار للشبلنجي منذ من بعض الأشياخ تتضمن ماذكرناه وهو مقبول معترف فانه متواضع ومن اجل التواضع من أولاد سيد المتواضعين

الافتخار بالانساب والتحدث بنعمتها

في الواقع الذي لا مراء فيه ان اتصال النسب بأفضل المخلوقات واشرفها نعمة كبرى وجاه عظيم . ولما كان هذا الجاه قد يكون عند المغرورين البسطاء مثار افتخار وزهو رأينا أن ننبههم هنا فنقول . ان الرسول الاعظم الذي يعد الانتساب اليه شرفا وفخارا ما كان يرضى الافتخار بل كان ينفر منه ويراه خصلة من خصال الجاهلية الشائنة ولذا ورد في الحديث الشريف « ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ولا يبغي احد على احد »

فافتخار بعض جهلة المنتسبين بانسابهم وتباهيهم بآبائهم سلفا واتخاذهم صلة الرسول طريقا الى الغطرسة والتهور والتطاول . كل هذا عمل لايليق شرعا ولا عرفا وشر نحذر منه من يريد أن يكون خير خلف لخير سلف

سأل سائل هنا . هل يجوز التحدث بنعمة النسب الطيب
والجواب نعم . فان الفخار مذموم لان الداعي اليه محبة الكبرياء
والعجب . والتحدث بالنعمة محمود لان الداعي اليه باعث ديني وهو
الشكر لله الذي تفضل بهذه النعمة

مثال التحدث بنعمة النسب الذي أرى جوازه ماعلمته من
أن شريفا معاصرا جلس في حضرة حاكم كبير فاسند اليه الحاكم
مهمة التوفيق بين متخاصمين فقبل. فقال أحد الجالسين ممن يبغضون
الاشراف أن هذا قد لايصلح لهذه المهمة . فقال السيد الشجاع
عجبا . الا أصلح للتوفيق بين شخصين وجدي أصلح الانسانية
جمعاء ؟ عجبا اذا لم أصلح أنا بين المتخاصمين من ؟

فهأنت ترى أن الذي دفع الشريف الى هذه الصراحة اظهار مكانته
من سيد الوجود ليتمكن عن طريق ذلك من صلح متنازعين متباغضين .
ولاشك أن هذه مصلحة دينية يشبهها ماروي في كتب السير من أن
الرسول في احدى غزواته قال « أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب
ليهدد الكفار ويخوفهم بهذه المقولة المهيبة التي تشعرهم صلته
القوية ببيت الشجاعة والسيادة والرياسة بيت عبد المطلب

كتب الانساب

عني العلماء في مختلف العصور من السلف الصالح الى يومنا هذا
بتدوين انساب الفروع النبوية وتبيين أصولها
وقد كان لعلماء النسب من هذا العمل أغراض

أولا . طلب الثواب
ثانيا حفظ النسب من الدخلاء

ثالثا . صيانة الانساب الطاهرة من الضياع على ممر الزمن.
رابعا . العمل بمقتضى هذه الانساب المدونة عند توزيع الارزاق والمخصصات

وللعلماء فى أسلوب هذه المؤلفات طريقان

احداهما طريقة المبسوط وهى سهلة الاستخراج ميسرة الاطلاع اذ أنها لا تكلف أكثر من القراءة المعتادة فى الكتب المسرودة جملها سردا. وعلى هذه الطريقة كتاب نهاية الطالب فى نسب آل أبى طالب وكتاب نسب الاشراف الجازية وكتاب النسب الوثيق وكتاب المبسوط لابن ابى الغنائم وكثير غيرها .

ثانيهما طريقة المشجر وهى صعبة تكلف عناء ومشقة فى الاستخراج اذ أنها رسم شجر له فروع متعددة وعن هذه الفروع فروع أخرى وهكذا — وعلى هذه الطريقة المشجر لابن أبى الغنائم وكتاب بحر الانساب للنجفى الذى طبعه الاستاذ الرفاعى الموظف بدار الكتب بالقاهرة

وفى الحق أن الطريقة الاولى اولى فى التأليف من الثانية التى تستنفد جهدا وتتطلب وقتا

اذكر أننى استطعت أن استخرج نسب اشراف قنا من الكتابين نهاية الطالب ونسب الاشراف الجازية فى ظرف بسيط . بينما مكثت زمنا طويلا وانفقت جهدا واسعا فى استخراجه من بحر الانساب للنجفى

حكى لى الاستاذ حسن قاسم المؤرخ النسابة المشهور أن أحد

العلماء فى العهود الماضية الف كتاباً مشجراً لأشراف زمنه فلم يلق من الرأى العام الا اعراضا . فلما بلغه ذلك سأل . فقيل أننا نسأم عند قراءته واستخراج أى نسب منه . فعمل رحمه الله على أن يبسط هذه المشجرات فى كتاب آخر نشره فصادف قبولا وارتياحا

والمهم هنا أن يقال . هل يصح شرعا الاعتماد على هذه الأنساب المدونة ؟ والجواب نعم . فانها بمنزلة رواية من النسابة وفتوى، وقديما قيل « العهدة على الراوى » أى ان مسئولية ما كتبه واقعة عليه . أن صحيح فثوابه له . وأن خطأ مزيف فوزره عليه .

بقى ان نخبرك عن حالة تحصل كثيرا وهى ان يصر شخص على أنه شريف اعتمادا على تواتر أو اعتماداً على ما سمعه من اسلافه ثم تبحث فى كتب الانساب فلا تجد لذلك أصلا ولا مرجعا فالعمل ؟

هل نصدقه ؟ أو نكذبه بحجه أن الكتب لم تكتب نسبه؟ والجواب أننا نصدقه لجواز أن يكون نسبه مدونا فى كتب لم نطلع عليها ؛ ولم يدع احد أنه أحاط علما بكل الكتب . ولجوار أن تكون ذاكرة النسابين لم تحفظ نسب أبائه : كل ذلك محتمل فما علينا الا نصدق من باب الاحتياط والناس مأمونون على انسابهم كما كررنا والله يتولى الجميع بهداه

خاتمة

هذا ما استطعت أن اضمنه كتاب (الاشراف) من بحوث

موجزة جادبها توفيق الله وتيسيره . وهى وأن لم تكن شافية بالاطناب الفسيح والبسط الوسيع الا انها كما اتوسم كافية لأن تعطى الناس فكرة عامة عما يتعلق بآل البيت وما يمسهم

وقد حفزتنى العناية الالهية الى ان أعرض ما كتبت بعد الفراغ منه على الأستاذ العالم الاديب فضيلة السيد الببلاوى نقيب الاشراف ليرى رأيه السديد فيه فكان من كرم الله ان تناول قلمه الفياض بعد الاطلاع فكتب حفظه الله بعد البسملة والحمدلة والصلاة على الرسول وآله مايأتى

اطلعت على كتاب (الاشراف) تأليف الابن الاديب (حسن النجار) المتخرج فى كلية أصول الدين من كليات الجامع الازهر فوجدته من خير ما ألف فى هذا الباب . والله اسال أن ينفع به وأن يثيبه على عمله خير الثواب .

❋ ❋

هذا تقريظ السيد الكريم الذى اتحفنى به مشجعا ومكافئا رأيت ان أنشره هنا ليكون مسك الختام : وكل ماارجوه من الله جل شأنه أن ينفع بهذا السفر المتواضع كل من قراه أو سمعه وأن يجعل عملى خالصا لوجهه الكريم أنه سميع قريب . ربنا وتقبل دعاء . ربنا اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب : وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله

المؤلف

حسن النجار

فهرس كتاب الاشراف